خصائص المادة التاريخية في المسرحية العربية

Characteristics of Historical Material in Arab Drama

By

Dr. Md. Manzoor Hussain

(Associate Professor of Arabic and Head Department of Arabic, Anwarul Uloom Degree College Hyderabad)

ملخص البحث:

يتناول المقاول أساسيا المادة التاريخية في المسرحية العربية، وإن المسرحية بمعناها الاصطلاحي الحديث فن غربي غريب بالنسبة للأدب العربي، فيبحث المقال عن مفهوم المسرحية لغة واصطلاحا، وعن بدايتها وظهورها في الأدب العربي، وإن هذا الفن دخل في الأدب العربي في القرن التاسع عشر على يد مارون النقاش بتأليفه كتاب "البخيل" في المسرحية باللغة العربية. وإن للمسرحية أنواعا عديدة، منها المسرحية التاريخية، فإنها تعتمد على الأحداث التاريخية، فالمادة التاريخية تحتل مكانا مرموقا ملموسا فيها. وإن المادة التاريخية التي استخدمها كتاب المسرحية العربية لها خصائص متفردة، تتميز بها المسرحية التاريخية عن غيرها من أنواع المسرحية العربية كما تتميز بها المسرحية العربية عن غيرها من مسرحيات اللغات العالمية الأخرى. فيتحدث المقال عن خصائص المادة التاريخية. وإن المقال يبدأ بالمقدمة وينتهي بالخاتمة.

مقدمة:

إن المادة التاريخية لم تزل ولن تزال مادة غنية للأدب ومادة شيقة لدى الكتاب والأدباء ومادة محببة لدى القراء والمولعين بالأدب. فإن الإنسان تعجبه الوقائع والأحداث، ويحب أن يسمع الحكايات التاريخية، ويفتخر بماضي قومه ووطنه، فنظرا لما للتاريخ من أهمية اعتنى به الأدباء في كل زمن، ولما ظهرت المسرحية في الأدب العربي لم يغفلوا عن المادة التاريخية، بل اهتموا بها كل اهتمام، حتى تفرع نوع باسم المسرحية التاريخية من أنواع المسرحية العربية. وإن المادة التاريخية العربية لم تكن كمادة تاريخية أخرى، فإن لها خصائص متميزة، ولا بد لمن له إلمام بالأدب العربي أن يعرف تلك الخصائص، ليدرك مدى أهمية المادة التاريخية في المسرحية العربية.

مفهوم المسرحية:

قبل أن نخوض في صلب الموضوع أريد أن أبين مفهوم المسرحية لغة واصطلاحا.

المسرحية لغة:

كلمة "مسرحية" مصدر صناعي من "مسرح".[1] والمسرح ترجمة كلمة "Theater"، وهي كلمة إنكليزية، أصلها كلمة يونانية "Theatron"، وهي تعني مكان الشهادة.[2]

والمسرح باللغة العربية اسم ظرف من سرح يسرح، ومعناه الموضع الذي تسرح فيه الدواب للرعي، فهو مرادف المرعى. وجمعه مسارح.[3] وباللغة العربية المعاصرة تستعمل لفظة المسرح بمعنى المكان الذي تمثل عليه المسرحية.[4]

المسرحية اصطلاحا:

تعددت التعبيرات في تعريف المسرحية اصطلاحا، منها:

"شكل فني يروي قصة من خلال حديث شخصياتها وأفعالهم، حيث يقوم ممثلون يتقمصون هذه الشخصيات أمام الجمهور في مسرح أو أمام آلات تصوير ليشاهدهم الجمهور في المنازل".[5]

"النص الذي سبق إعداده، ويستخدم فيها الملابس والديكورات والإضاءة، وجميع الأدوات اللازمة لعمل المسرحية، كما يتناول موضوع المسرحية قصة أو حادثة تاريخية أو حياة شخصية من الشخصيات، أوتطور حياة شخصية من الشخصيات أو تطور حياة الشعوب أو مشكلة من المشكلات الاجتماعية".[6]

" نموذج أدبي وشكل فني يتطلب لكي يحدث تأثيرا حقيقيا كاملا، فيه اشتراك عدد من العناصر الأدبية، ومن أهمها الحبكة والبناء الدرامى، والحركة والصراع، والشخصيات، والحوار، مع عدد من العناصر غير الأدبية ومنها الملابس والإضاءة والموسيقى".[7]

"المسرحية هي التعبير عن صورة من صور الحياة تعبيرا واضحا بوساطة ممثلين يؤدون أدوارهم أمام جمهور محتشد بحيث يكون هذا التمثيل مثيرا، أو هي قطعة من الحياة ينقلها إلينا الأدب لنراها ممثلة على المسرح".[8]

بداية المسرحية العربية:

ظهر فن المسرحية في العالم العربي متأخرا بالنسبة لظهوره في العالم الغربي، وفي الحقيقة إن المسرحية دخلت في العالم العربي من العالم الغربي. وقد شاهد العالم العربي المسرح بمعناه الاصطلاحي الحديث الدقيق أولا في عهد نابليون في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. وسمي المسرح الأول في مصر مسرح الجمهورية والفنون، وقد تم تمثيل

المسرحيتين بهذا المسرح، وهما روايتان في الحقيقة، اسم إحداهما "الطحانين"، وأخراهما "زايس وفلكور" أو "بونابرت في القاهرة".[9]

وعرف الأدب العربي صنف المسرحية الاصطلاحية الحديثة في القرن التاسع عشر، عند ما صدر كتاب "البخيل" في المسرحية. كتبه مارون بن إلياس بن ميخائيل النقاش (1817-1855م)، مستفيدا من مسرحية "البخيل" للكاتب الفرنسي "موليير". فمارون النقاش هو رائد المسرحية العربية. وكان يتقن التركية والفرنسية والإيطالية والعربية. سافر من بيروت إلى مصر سنة 1846م، ثم غادرها إلى إيطاليا، وكان سفره إليهما للتجارة، فمكث زمنا في إيطاليا، وأثناء مكوثه بها شاهد مسرح الإيطاليين، فأعجب به، وعزم أن يدخل إلى بلاده هذا الفن، فعندما رجع إلى وطنه بنى في بيته مسرحا، وبدأ يكتب القطع للتمثيل عليه، حتى كتب كتابه الشهير "البخيل"، ثم وضع المسرحتين علاوة على البخيل، واسمهما: "أبو الحسن المغفل" أو "هارون الرشيد"، و"الحسود السليط".[10]

المادة التاريخية في المسرحية العربية:

إن المادة التاريخية تلعب دورا مهما في تأثير المسرحية في قلوب القارئين والمشاهدين، وتأريخ العرب والمسلمين يساعد المعنيين بالمسرح والكاتبين للمسرحية في معالجة الموضوعات التي يرونها مما لا بد من عرضها وتقديمها على المسرح. كما يجد الناس متعة في الوقائع التأريخية التي يتم تمثيلها على المسرح وتأليفها في الكتاب. وللمادة التاريخية التي استخدمها كتاب المسرحية العربية خصائص مهمة تميزها عن غيرها من أنواع المسرحية العربية كما تميزها عن مسرحيات العالم التي كتبها الأدباء والكتاب باللغات العالمية المختلفة.

خصائص المادة التاريخية:

إن للمادة التاريخية التي استخدمها كتاب المسرحية العربية خصائص عديدة، منها ما يلي:

1. التوحد التأريخي

إن التاريخ العربي يمتاز بوحدة، فهو يوحد العرب جميعا بانتمائهم إلى الإسلام، فالعرب ينتمون إلى الإسلام دينا وعقيدة، والإسلام يجمعهم أجمعين. فتاريخ منطقة من العرب تاريخ مناطق العرب كلها، فما يحدث في بلدة أو ضاحية من العرب من الحوادث والوقائع يشعر كل من يسكن بالعرب بأن تلك الحادثة حدثت في موطنها وبلدها. ونتيجة لذلك كل حادثة من أحداث التاريخ العربي مقروءة ومتداولة في جميع بلاد العرب ومعرفة لديهم كافة. هذه خصوصية للمادة التأريخية في المسرحية العربية لا نظير لها في مسرحية غيرها من مسارح اللغات العالمية.[11]

2. التحرر من الاستعمار

إن زمن ظهور المسرحية العربية زمن السيطرة العثمانية في الأقطار العربية، ثم دخل الاستعمار فيها وجثم على صدرها، ثم بدأت حركات الاستقلال إلى أن رجع الاستعمار من حيث أتى. وكانت في زمن الاستعمار هناك أوضاع خاصة في كل دولة من الدول العربية إلا أن أمرا واحدا يجمعها كلها، وهو محاولة التحرر عن الاستقلال والطموح نحو الاستقلال. فعصر ظهور المسرحية ونشأتها وتطورها هو عصر النضهة العربية. فإنها ظهرت في العهد العثماني وتطورت في عهد الاستعمار وبلغت أوجها في عهد الاستقلال. فحاول كتاب المسرحية العربية أن يراعوا هذا الشعور القومي بالتحرر من الاستعمار والطموح نحو الاستقلال كل مراعاة في مسرحياتها التاريخية.[12]

3. تبرير قبول المسرحية

لما دخل فن المسرح في البلاد العربية حدث نزاغ شديد بين قبوله ورده، فمنع العلماء والمتدينون منه وخالفوه كل مخالفة، لما فيه من أمور لا تنسجم مع الطبيعة الإسلامية ولا توافق مع الأصول الشرعية، لاستلزامه وجود الفتيان ينشدن من الألحان بأصوات توقظ أعين اللذات، وتمثيل أحوال العشاق على مرأى من الناظرين ومسمع منهم، فاضطر المعنيون بالمسرح والمؤلفون في المسرحية إلى الدفاع عن المسرح والمسرحية.

فكتب الشيخ علي مبارك يقول: "له تأثير عظيم في عقول الشبان من الرجال والنساء، فيكشف لهم عن حقائق الأمور فيتحرزون من الوقوع في شباك الغي ومهاوي الغرور. وأقل فضائله الكشف عن العيوب والمساوئ وتمييزها من الفضائل والمحاسن، وهو بتحقيره للأولى وتزيينها وتعظيمه للثانية وتشريفها يحملنا، لا محالة، على توجيه أنظارنا وازدياد ميلنا للحسن الممدوح وإعراضنا وازدياد نفرتنا عن السيء المذموم".[13] وقال محمد كرد علي مدافعا عن المسرح "للتمثيل يد في تربية الملكات وترقيق الشعور والإحساس، يعده الغربيون من العوامل في إنهاض الأمم، ويعده العامة من المسليات وما هو إلا أمثولات، وبعده فريق هزلا وما هو إلا عين الجد".[14]

اشتدت هذه المعركة بين رافضي المسرح والمسرحية ومؤيديهما، ولم يكد أن يتدوال المسرح بين العرب، وهنا لعبت المادة التاريخية دورا مهما بارزا، فإنها مهدت الطريق إلى قبولها بشكل أحسن، فمن من العرب لا يستثار بصلاح الدين الأيوبي وخالد بن الوليد وطارق بن زياد وغيرهم من أبطال الإسلام وأعلامهم. فالمادة التأريخية أسكتت ألسنة الرافضين، وأصبحت مدخلا صالحا إلى القلوب والعقول.[15]

4. من الالتزام بالحقائق إلى الخروج منها

إن كتاب المسرحية العربية واجهوا – فيما واجهوا من المشاكل – مشكلة الالتزام بالحقائق التاريخية، فإنهم وجدوا أن الالتزام بالحقائق التاريخية يقلل من المتعة التي لا منها لتشويق الناس، وإنهم أدركوا أن كتابة المسرحية تختلف عن كتابة التاريخ، فإن المسرحية مبناها الخيال، وإن التاريخ مبناها الحقائق، فلمعالجة هذه المشكلة لم يجد الكتاب من قلة الالتزام بالحقائق التاريخية وزيادة الاهتمام بصورة الواقع التي يبنيها التخيل. ويمكن أن نقسم المسرحية التاريخية إلى عدة مراحل مر بها لحل مشكلة الالتزام بالحقائق وعدمه. وهي كما يقول فرحان بلبل :"ففي حين نجدهم في القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين أقرب إلى الالتزام بالتاريخ، نجدهم منذ ما بعد الحرب العالمية الأولى أقرب إلى الخروج عن هذا الالتزام، ثم أخذوا بعد منتصف القرن العشرين يكثرون من اختراع الأحداث والأشخاص، ثم أخذوا في المرحلة الأخيرة يقلبون الحقائق التأريخية ويعروضونها بشكل مناقض أو مغاير لما كانت عليه. ... فعند كانت المسرحية التاريخية عظة للناس كان الالتزام أكثر، فلما صارت فنا قل الالتزام به، ولما ارتقى الفن حدث الخروج عن التاريخ".[16]

5. اللغة الفصحى:

إن العامية من المشاكل التي يعانيها كتاب المسرحية العربية منذ ظهورها، فبالنسبة للمسرحية الواقعية يصعب عليهم أن يكتبوها بالفصحى، لأنها تعجز عن محاكاة الواقع بلغة مفهومة تماما لدى المتفرجين والقارئين، ويصعب عليهم أن يكتبوها بالعامية، لأنها تقلل من أهمية الأدب الذي ينجزونه. أما بالنسبة للمسرحية التاريخية فإنها تمتاز بخصوصية استخدام اللغة الفصحى عن جميع أنواع المسرحية العربية. فإن المسرحية التاريخية العربية نجحت في التخلص من مشكلة اللغة العامية. فإن زمن الأحداث التاريخية ورجالها وشخصياتها مما لا يقبل اللغة العامية، ولا يليق به إلا اللغة الفصحى. فمن هنا ساهمت المسرحية التاريخية مساهمة متميزة في تطور الأدب العربي.[17]

هذه أهم الخصائص التي يتميز بها المادة التاريخية في المسرحية العربية، وبها يتضح ما تمتاز به المسرحية التاريخية العربية عن غيرها من أنواع المسرحية العربية.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم وصلنا إلى أن المسرحية مصدر صناعي من المسرح، وهو موضع السرح، أي المرعى. وأن المسرحية غربي منشؤها وحديث عهدها، عرفها الأدب العربي متأخرا بالنسبة للأدب الغربي، وأول من كتب مسرحية عربية مارون نقاش، واسم المسرحية التي كتبها أولا "البخيل"، وأن المسرحية التاريخية العربية تتميز بخصائص عديدة، منها: التوحد التأريخي، والتحرر من الاستعمار، وتبرير قبول المسرحية، والمرور بمراحل لمعالجة مشكلة الالتزام بالحقائق التاريخية، واستخدام اللغة الفصحى.

الهوامش:

[1] د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة. ط: عالم الكتب. ج 2، ص 1055

[2] انظر: تحليل الخطاب السردي والمسرحي، الكبير الداديسي ص19 دارالراية عمان ط 2000 م

[3] انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة س ر ح، م 7، دار صادر بيروت ط1 ص123

[4] انظر: المنجد فى اللغة العربية المعاصرة، انطوان نعمة وأخرون،، دارالمشرق بيررت 2007م، ص701. و المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون المكتبة الإسلا مية استانبول تركيا. ص426. الرائد معجم لغوي عصري، جبران مسعود، دارالعلم للملايين بيروت ط 8 2001 م. ص158

[5] موسوعة أعلام المسرح والمصطلحات المسرحية، وليد البكري دار أسامة، الأردن 2003 م،، ص 49

[6] المناهج والدخل الدرامى، أمير إبراهيم القرشي أميرة للطباعة ط 1، 2001 م، ص101

[7] الدراما والمسرح في التعليم لينا نبيل أبو مغلى ص49

[8] دراسات في الأدب العربي الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي. ط: بيروت، دار الجيل. ج 2، ص 459

[9] تاريخ المسرح في العالم العربي القرن التاسع عشر، سيد علي إسماعيل. ط: مؤسسة هنداوي. ص 13

[10] انظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، حنا الفاخوري. ط: الأولى 1986، بيروت: دار الجيل. ص 31، 32

[11] انظر: مراجعات في المسرح العربي، فرحان بليل. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. ص 13، 14

[12] انظر: المرجع السابق، ص 14، 15

[13] نظرية المسرح، محمد كامل الخطيب. ط: وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1994م، ص 63.

[1414] المرجع السابق: ص 143

[15] انظر: مراجعات في المسرح العربي، فرحان بليل. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. ص 15، 16

[16] المرجع السابق: ص 17، 18

[17] انظر: المرجع السابق: ص 18- 20

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية استانبول تركيا.
2- ابن منظور: لسان العرب، مادة س ر ح، م 7، دار صادر بيروت ط1 ص123
3- أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب.
4- أمير إبراهيم القرشي: المناهج والدخل الدرامى، أميرة للطباعة ط 1، 2001 م.
5- انطوان نعمة وأخرون: المنجد فى اللغة العربية المعاصرة، دارالمشرق بيررت 2007م.
6- جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دارالعلم للملايين بيروت ط 8 2001 م.
7- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، ط: الأولى 1986، بيروت: دار الجيل.
8- سيد علي إسماعيل: تاريخ المسرح في العالم العربي القرن التاسع عشر، ط: مؤسسة هنداوي.
9- فرحان بليل: مراجعات في المسرح العربي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
10- الكبير الداديسي: تحليل الخطاب السردي والمسرحي، ص19 دارالراية عمان ط 2000 م.
11- لينا نبيل أبو مغلى: الدراما والمسرح في التعليم.
12- محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث، ط: بيروت، دار الجيل.
13- محمد كامل الخطيب: نظرية المسرح، ط: وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1994م.
14- وليد البكري: موسوعة أعلام المسرح والمصطلحات المسرحية، دار أسامة، الأردن 2003 م.